فن قراءة الصورة في الكتب المدرسية
بين النظرية والتطبيق

عطية العمري

اعتاد مؤلفو كتب اللغة العربية المقررة على إرفاق بعض الصور والرسومات للنصوص المختارة، وهم يحرصون كل الحرص على أن تخدم هذه الصور الخطاب الذي يريدون نقله إلى الطالب من خلال هذه النصوص. ولذلك، توكل مهمة اختيار هذه الصور أو تصميمها إلى فنانين مبدعين يدرسون النصوص دراسة عميقة، وربما يناقشون المؤلفين في مضمونها وفي الخطاب الذي تحمله، قبل أن يقوموا بتصميم (كروكي) لهذه الصور والرسومات. ثم تتم التعديلات الضرورية بموافقة كل من الفنان والمؤلفين ومركز المناهج ووزارة التربية والتعليم، إلى أن تصل إلى شكلها النهائي. وحتى تكون الصور خادمةً للمعنى -كما يقولون- لا بد من التفكير جيداً فيما يلي عند تصميم هذه الصور والرسومات: عدد الصور المرافقة للنص، موضع كل صورة في النص، موضع كل صورة في الصفحة، مكونات كل صورة، الجزء المركزي في الصورة، حجم كل مكوِّن من مكونات الصورة، الألوان التي تظهر في الصورة، الخطوط المستخدمة: أهي منحنية أم متعرجة؟ ملامح الشخصيات في الصورة، الانطباع الأولي الذي يمكن أن يتكون لدى الطالب لدى اطلاعه على الصورة، المشاعر والأحاسيس التي توحي بها الصورة، نوعية الملابس التي يلبسها الأشخاص في الصورة، علاقة الصورة بمضمون النص، علاقة الصورة بعنوان النص . . . إلخ.

ثم يتم التفكير بعد ذلك: هل كل هذا ينسجم مع النص؟ وهل يزيد الطالب وعياً بمضمون النص؟ وهل يزيد الطالب إدراكاً للخطاب الذي يحمله النص؟ بل: وهل تساعد هذه الصور على تنمية التفكير التأملي والإبداعي والناقد لدى الطالب؟

هذا بالنسبة للصور والرسومات التي يصممها الفنانون. ولكن قد نجد مع النص صوراً فوتوغرافية، يكون الهدف منها أبعد من مجرد تقريب الفكرة للطالب، فمثلاً لماذا اختير هذا المشهد بالذات؟ ولماذا تم التركيز على هذا الجزء بالذات ليكون محور الصورة؟ ولماذا؟ ولماذا؟ فالأمر لا يكون اعتباطاً، وإنما لهدف مرسوم، وغاية مقصودة، وبعدها فقد يقع الخطأ في الاختيار، أو عدم التوفيق في وضع الصور في المكان المناسب.

وغني عن القول إن المعلم يجب ألا يمر هو وطلابه على هذه الصور والرسومات مر الكرام، ولا أن يكتفي بمناقشة مكونات هذه الصور مناقشة سطحية كما اعتاد بعض مدرسينا. إن قراءة هذه الصور ينبغي أن تكون -إلى جانب القراءة الفاهمة لمحتواها- القراءة الناقدة والمنقِّبة لخباياها ودلالاتها وإيحاءاتها وما ترمز إليه، وما تريد أن تقوله بلسان حالها. ولذلك نقترح على المعلم ما يلي:

1. عدم رفض أية إجابة من الطالب ما دام لديه دليل (أو قرينة) على صحتها.
2. ترك المجال لأكبر عدد من الإجابات على السؤال الواحد.
3. التدرج في طرح التساؤلات من المباشر إلى غير المباشر.
4. ترك المجال للطلاب ليطرحوا بعض التساؤلات حول الصورة.
5. ربط الصورة بعنوان الدرس.
6. ربط الصورة بمضمون الدرس.
7. ربط الصورة بمغزى الدرس.
8. إيجاد علاقات بين مكونات الصورة.
9. التعرف إلى نوعية الخطوط المستخدمة في الصورة ودلالاتها.
10. التعرف إلى دلالات الألوان المستخدمة في الصورة.
11. تحديد أهم عنصر في الصورة مع التعليل والربط بمضمون الدرس.
12. اكتشاف المشاعر التي تحملها الشخصيات في الصورة، مع التعليل.
13. إبداع صورة أو رسومات يرى الطالب أنها أنسب لوضعها مع النص بدلاً مما ورد في الكتاب المقرر. . . الخ.

وحتى يكون حديثنا أقرب إلى التطبيقي منه إلى النظري، نورد هنا نماذج من قراءات محتملة للصور المرافقة لبعض موضوعات كتب اللغة العربية الفلسطينية، مع التنبيه -كما أسلفنا سابقاً- بأن لكل إنسان قراءته الخاصة للصورة الواحدة، بحيث تتعدد القراءات وتتجدد، وتتجلى تنمية الإبداع لدى الطلبة في أوج عظمتها.

1. من درس "يحيى بن يعمر .. شجاعة في الحق" للصف العاشر ج/2:

وردت صورتان مصاحبتان للنص، جاءتا في الصفحتين الثانية والثالثة من النص البالغ طوله أربع صفحات بالإضافة إلى صفحة المقدمة.

أما الصورة الأولى فهي -كما يبدو- للحجاج يقف مزهوّاً، رافعا رأسه في كِبْرٍ وخُيلاء، لا يمكن لمن يرى هذه الصورة إلا أن يحكم بأنها صورة لإنسانٍ متكبرٍ متغطرس، فإذا عرفنا أنها صورة لحاكمٍ أو والٍ، عرفنا أنه لا بد أنّ يكون ظالماً متسلطاً على شعبه.

أما الصورة الثانية فهي الصورة نفسها السابقة، ولكن يقف إلى جانبها إنسان ضعيف الجسم، رث الثياب، ينظر إلى الحجاج في خوف شديد، فقد فتح فمه وعينيه، ووضع يده على رأسه، تتخيله حين تنظر إليه أنه يرتعد خوفًا؛ ولذلك فإننا بالتأكيد نحكم أنه ليس يحيى بن يعمر، فمن كان شجاعاً في قول الحق، فإن ملامح الشجاعة تبدو واضحةً عليه، ولكن ربما هي صورة لواحد من عامة الشعب؛ ليدلل ذلك على مدى الرعب الذي يصاب به من يقف أمام الحجاج، وبالتالي فإنه يريد أن يصور لنا مدى بطش الحجاج بأفراد شعبه ورعيته، وهو دليل على مدى شجاعة يحيى بن يعمر؛ لأنه لم يجهر بالحق في وجه أي حاكم، وإنما في وجه حاكمٍ ترتعد فرائص من يقف أمامه، ولكن هذا الحاكم الظالم لم يستطع أن يفعل شيئاً ذا بال لإنسانٍ كشف عيوبه وحججه الباطلة أمام الملأ، فلا نامت أعين الجبناء.

2. من درس "رحلة إلى قصر الحمراء" للصف الخامس ج/2:

اختار مؤلفو كتاب **لغتنا الجميلة** أن يضعوا صورة قصر الحمراء لتكون مرافقة للنص، وهذا أمر متوقع؛ نظراً لأن عنوان النص يتحدث عن رحلة إلى قصر الحمراء، فهناك علاقة وثيقة بين الصورة والعنوان، كما أن هناك علاقة وثيقة بين الصورة ومضمون النص؛ فمعظم أحداث النص تتناول ما جرى للكاتب أثناء رحلته إلى قصر الحمراء.

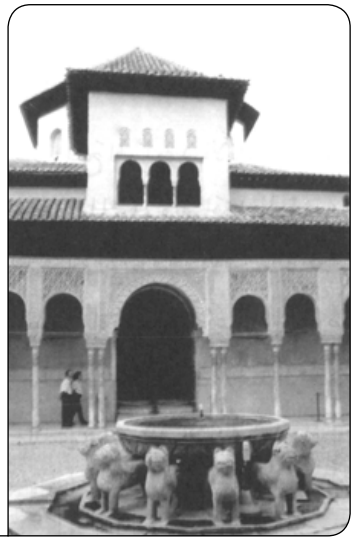

ولكن من الملاحظ أن الصورة لا تستوعب قصر الحمراء بكامله، أو قصر الحمراء من داخله، إنما هي صورة لبهو السِّباع فقط (قاعة الأُسُود) والنافورة التي تحمل اثني عشر أسداً من المرمر الأبيض، فهذا البهو من أعظم أبهاء قصر الحمراء، كما أن الأسود فيه ترمز إلى القوة والعظمة والحكم والسلطان؛ فالأسد ملك الغابة، فهذا البهو يرمز إلى قوة العرب والمسلمين في ذلك الوقت، وإلى أنهم كانوا ملوك الأرض وسادة الأمم، وكأن المؤلفين أرادوا أن يستنهضوا الهمم، وأن يحثوا العرب والمسلمين على أن يعملوا جادين للعودة إلى تلك المكانة السامقة، وأن لا يبقوا في حالة الضعف والهوان التي يعيشونها هذه الأيام.

أما من حيث الألوان، فإن الصورة يعمها اللون الأحمر؛ وذلك لأن أسوار قصر الحمراء وجدرانه أصلاً يضرب لونها إلى الحُمرة، ولكن تم اختيار هذا المكان ذي اللون الأحمر بالذات، فعمَّ اللون الأحمر الصورة كلها، ربما ليشير إلى أن العودة إلى الأمجاد والعزة والكرامة والسيادة لا يأتي إلا بالتضحيات العظيمة، وبذل الدماء والأرواح.

3. من درس "سباق العِقبان والنسور" للصف العاشر ج/2:

يمكن القول إن ما ترمز إليه الصور المصاحبة للنص بمكوناتها وأشكالها وألوانها تكاد تتطابق مع عنوان النص، فالصورة الأولى جاءت مرافقة لمقدمة النص، والتي عنونت بعنوان "بين يدي النص"، واحتلت هذه الصورة جزءاً لا بأس به من الصفحة، وفيها مجموعة من النسور تواجه مجموعة من العقبان تنظر إلى بعضها البعض في حدة وغضب؛ ليؤكد ذلك أنه صراعٌ وليس سباقاً. وفي أسفل الصورة صقر طائر في الجو ليدلل على طبيعة السباق، وهو أنه سباق طيران في الجو. ولعل اختيار اللون الأسود لهذه الصورة جاء ليدلل على الحقد والكراهية التي تؤطر هذا السباق، أو بالأحرى هذا الصراع.

أما الصورة الثانية، فإنها تشمل نسرين، يفرد أحدهما جناحيه، مستعرضاً قوته، رافعاً رأسه إلى أعلى، وبجانبه نسر آخر يقف ضاماً جناحيه خافضاً رأسه. ولعل المقصود بالنسر الأول تلك القوة العظمى التي تستعرض قوتها على العالم كله، أما النسر الآخر فهو تلك القوة التي تستمد قوتها من القوة الأولى، وتعيش في حمايتها، ولكنهما على أية حال نسران من الفصيلة نفسها، ومن تلك الفئة الظالمة الباغية. وقد لوِّنت الصورة باللون الأزرق؛ ربما لتشير إشارة واضحة إلى تلك القوتين، فالعلم الأمريكي يحتوي على اللون الأزرق، والعلم الإسرائيلي كله باللون الأزرق، حتى علم الأمم المتحدة هو باللون الأزرق.

وأما الصورة الثالثة، فهي صورة لنسر وصقر طائرين أثناء السباق، وكل منهما يرفع رأسه إلى أعلى؛ دليلاً على رغبته في التغلب والانتصار على الآخر؛ وهذا يدلل على أن من هو أقل قوة لم يستسلم للأقوى منه أو يخضع له. ووجود شمس الصباح بحجم كبير في أعلى الصورة، واللون الأزرق للنسر والصقر في أسفلها يدلل على أن شمس الحرية والنصر ستشرق حتماً. ولكن كان من الأفضل تلوين الصقر بلون مخالف للون النسر.

أما الصورة الرابعة، فهي للنسور في نهاية السباق، لا تبدو ملامحها جيداً، دليلاً على حيرتها وحزنها مما يوحي بأنها خسرت هذا السباق، كما أنها تنظر في اتجاه واحد بعيداً، ما يوحي بأنها ستغادر المكان إلى مكان آخر. أما اختيار اللون الرمادي لهذه الصورة، فله دلالاته أيضاً؛ فاللون الرمادي هو مزيج من الأبيض والأسود، النور والظلمة، الوضوح والغموض، الأمل واليأس. ومن دلالات هذا اللون أنه علامة على الغموض والفوضى، وعلى اختلاط الأمور، وعدم الاستقرار. وهو ما يدلل على الغموض الذي ينتظر مستقبل هذا القوي المتجبر بعد أن فوجئ بعجزه عن فرض إرادته على الجميع.

4. من درس "إلى أخي الذي يطلب العلم في الخارج" للصف العاشر ج/2:

تظهر في الدرس صورتان هما:

الصورة الأولى: وهي الموجودة في فقرة "بين يدي النص"، ويتضح فيها صورة الباخرة ودخانها وأيدي المودعين تلوِّح للمسافرين من بعيد، وبنظرة متأنية إلى هذه الصورة نجد ما يلي:

1. ضخامة السفينة مقارنة بالبحر الذي بدا وكأنه جزء بسيط منه، وقد يتناسب هذا مع نفسية المودع للمسافر، حيث يكون جل همه وتركيزه فقط على الحدث الأبرز وهو سفر الأحبة وأداته السفينة، وبالتالي كان التركيز على السفينة التي يركب فيها المسافرون، فلا يكادون يرون غيرها، وبالتالي يبدو البحر صغيراً مقارنة بالسفينة؛ لأنه بعيد عن دائرة الاهتمام بالنسبة للمودع.
2. يظهر في الصورة منديل يمسك به أحد المودعين، وهذا يوحي بأن المودعين تتساقط من عيونهم الدموع حزناً على وداع أقربائهم وأحبتهم، وهذا يستدعي وجود منديل يجففون به دموعهم.
3. يظهر في الصورة أيضاً الدخان المتصاعد والمائل نحو جهة اليسار، وهذا يوحي بأن السفينة قد بدأت بالانطلاق، وهذا يتناسق مع تلويح المودعين بأيديهم.
4. يلاحظ عدم ظهور صورة أي مسافر في السفينة، وقد يوحي ذلك بأمور عدة، منها أن السفينة أصبحت بعيدة عن المودعين، وبالتالي لا تكاد تظهر صور المسافرين، بينما تظهر صورة المودعين، وهذا يتناسب مع نفسية كاتب النص الذي كان ضمن المودعين بروحه لا بجسمه، حيث يشعر بأنه ضمن هؤلاء المودعين، وبالتالي كانت صورتهم واضحة.

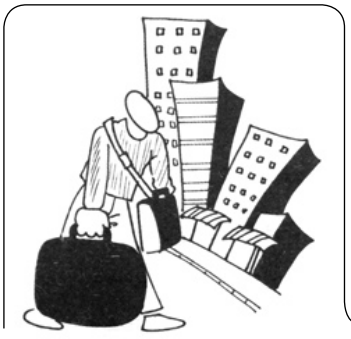

الصورة الثانية: وهي الموجودة بين أسطر النص، ويظهر فيها:

1. رأس المسافر والمرسوم على شكل دائرة، وشكل الدائرة يوحي بالدوران، والمعروف أن المسافر إذا دخل مكاناً غريباً عليه، فإنه يشعر بأن الدنيا تدور كلها من حوله؛ لأنه يرى أشياء لم يرها من قبل، وقد تتناسب مع العبارة الواردة في النص "وقد أخذك دوار البحر"، فالمسافر عبر البحر قد يصاب بالدوار الذي قد لا يفيق منه إلا بعد أيام.
2. تظهر في الصورة عمارات وأبراج عالية، لكن من الملاحظ أنها مائلة مع أنها على الحقيقة تكون قائمة، وقد يوحي ذلك بأمور عدة منها:
   - إن حضارة الغرب مهما كانت متقدمة وراقية وباهرة فإنها مبنية على باطل، وإنها سرعان ما تنهار، وبالتالي فاعوجاج صورة المباني يوحي بقرب انهيارها، وأنها غير مبنية على أسس متينة، وليس المقصود البناء بحد ذاته، بل الحضارة التي أدت إلى وجود مثل هذا البناء.
   - تظهر المباني رفيعة من أسفل وعريضة من أعلى، مع أن الذي ينظر للمباني العالية من بعيد يرى أن المبنى من أسفل يكون أعرض بكثير من المبنى من أعلى، وقد يؤكد هذا ما طرحناه في النقطة السابقة من أن الحضارة المتمثلة بجزء منها كالمباني العالية قائمة على أصول ضعيفة.
   - قد يوحي ميلان المباني بعظمة الحضارة ورقيها، من حيث الفن المعماري الذي وصلت إليه دول الغرب من بناء أبراج فيها من الفن ما فيها، بحيث تبنى مائلة دون أن تتعرض للوقوع.
   - تظهر في الصورة أيضاً صورة المسافر وحيداً وهو يحمل حقائبه الثقيلة، ولا تظهر صورة لأي مظهر من مظاهر الحياة فيها، وهذا قد يشير إلى شعور المسافر حينما يدخل بلداً جديداً لم يعرفه من قبل، حيث يشعر بالوحدة لأنه لا يكاد يعرف أحداً فيه.

5. من درس "بِشْر بن عوانة" للصف العاشر ج/2:

وردت مع النص صورة واحدة فقط، لو نظرنا إليها نلاحظ ما يلي:

1. من حيث الألوان فالصورة باللون الأزرق. ويبدو أن هذا اللون لا علاقة له بموضوع القصيدة؛ نظراً لأن معظم صور الكتاب هي باللون الأزرق، دون النظر إلى الموضوع. ولكن لماذا اختير اللون الأزرق بالذات لتلوين معظم صور الكتاب وصفحاته؟ هذا ما لا نعلمه.
2. في الصورة فارس يحمل سيفاً ويمسك بعنان فرسه بقوة ومهارة، وهذا دليل على تمجيد الشاعر للبطولة والشجاعة والقوة، وكأنه يطلب منا أن نكون أقوياء لا نخاف الموت، ولا نخشى المخاطر والأهوال، لأنه دون ذلك لا تتحقق الآمال والطموحات. وتؤكد أحداث القصة ذلك؛ فبشر الذي رفض عمُّه تزويجَه من ابنته لأنه صعلوك فقير، حقق آماله بشجاعته وصلابته، ثم إنه لما وجد ابنه أكثر شجاعةً وفروسيةً منه زوَّجه مَن الفتاة التي خاطر من أجلها
3. نرى في الصورة أن السيف مرفوع إلى أعلى، والفارس أيضاً ينظر إلى أعلى، حتى أن الحصان ينظر إلى أعلى. كل ذلك يشير إلى وجوب طلب المعالي، وعدم الرضا بالدون، كما يشير إلى وجوب أن نكون أعزاء، هاماتنا مرفوعة إلى أعلى، ولا نرضى بالذل والهوان، ولو كلفنا ذلك المتاعب والمشاق.

4. من الملاحظ أن الصورة تغلب عليها الخطوط المنحنية والانسيابية، وتقل فيها الخطوط المنكسرة، والمعروف أن الخطوط المنحنية ترمز -ضمن ما ترمز إليه- إلى السهولة واليسر، في حين أن الخطوط المنكسرة ترمز إلى الصعوبة والتأزم والعقبات. ولكن يبدو أن اختيار الخطوط المنحنية، على الرغم مما اكتنف الأحداث من مصاعب وعقبات وأهوال، لأن كل هذه المصاعب والعقبات وجدت طريقها إلى الانفراج والحل في النهاية، وكأن الشاعر يريد منا أن ننظر إلى الهدف الأسمى الذي نسعى إلى تحقيقه، ولا نلتفت إلى الصعوبات التي تواجهنا في سبيل تحقيق ذلك.

وبعد، فهذه دعوة لزملائي المعلمين أن يولوا هذا الأمر ما يستحق من اهتمام، وأن يوظفوا هذه الصور المرافقة لنصوص كتب اللغة العربية في الارتقاء بطلابهم، وفي تنمية التفكير التأملي والنقدي والإبداعي لديهم، مع إيجاد الإثارة والمتعة والتذوق الفني لدى هؤلاء الطلاب. أرجو أن تجد هذه الدعوة آذاناً صاغية، وهمة وتحفزاً للعمل الدؤوب.

عطية العمري – مركز القطان

المراجع

- محسين الدموش. "الصورة الفوتوغرافية بين الدلالة والتدليل":

http://www.fikrwanakd.aljabriabed.com/n57_07.htm

■ سكينة بوشلوح . " سيميائية الصورة " :
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C20689B3-F066-4DA9-9BEC-0013D0AE8E72.htm
مجلة المعرفة، عدد 14/ 10/ 2005 .
■ بلقاسم دفة . " التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية **حمامة سلام** للدكتور نجيب الكيلاني " :
http://www.station192.com/awudam2/mokifadaby/385/mokf385-007.htm
مجلة الموقف الأدبي؛ مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 385 أيار 2003 .
■ إبراهيم نمر موسى، وآخرون . **لغتنا الجميلة للصف الخامس** – الجزء الثاني، وزارة التربية والتعليم، دولة فلسطين، مركز المناهج، الطبعة التجريبية الأولى، 2004 .
■ عمر مسلم، وآخرون . **المطالعة والنصوص للصف العاشر** – الجزء الثاني، وزارة التربية والتعليم، دولة فلسطين، مركز المناهج، الطبعة التجريبية الأولى، 2004 .

مكتبة مركز القطان للبحث والتطوير التربوي

مكتبة متخصصة في التربية والعلوم الاجتماعية والبحث التربوي تضم محتوياتها :

1 . كتب باللغتين العربية والإنكليزية .
2 . دوريات باللغتين العربية والإنكليزية .
3 . مقاييس، اختبارات، استبانات في التربية وعلم النفس .
4 . وسائل سمعية وبصرية، وألعاب تربوية .
5 . كتب متخصصة بالثقافة السينمائية .
6 . أفلام فلسطينية وعالمية مميزة، حيث تم افتتاح ركن خاص لمشاهدة الأفلام .
7 . اشتراك في قواعد بيانات متخصصة مثل :

قاعدة البيانات	الموضوع	العنوان الالكتروني
QUESTIA	العلوم الاجتماعية	www . questia . com
NCTM	تعليم الرياضيات	www . nctm . org
ASCD	الإشراف وتطوير المناهج	www . ascd . com
NSTA	تعليم العلوم	www . nsta . org
Le Monde	النسخة العربية	www . mondiploar . com

جميع محتويات المكتبة محوسبة، ويمكن الاطلاع عليها من خلال صفحة المؤسسة الإلكترونية : www . qattanfoundation . org
دوام المكتبة من الساعة الثامنة حتى الرابعة يومياً ما عدا الجمعة والأحد .

لاستفساراتكم : رام الله – حي المصيون، شارع الجهاد . هاتف : 02 2963281 فاكس : 02 2963283
البريد الإلكتروني : sally@qattanfoundation . org azmi@qattanfoundation . org